

المقدس... الدفاع عن الحياة والخلود

2016-04-27 حكمت البخاتي

" الانسان بناء الله، ملعون من هدمه، ملعون من آذاه، ملعون من قتله "
حديث النبي محمد " ص "

يشكل التابو متلازم المقدس في الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية، وهو يدخل في تركيبه التعامل مع المقدس في المجتمعات التي يشكل المقدس عمق وجودها الكوني وناظم فكرها الديني.

وأصل تسمية التابو البولينية تعود الى قبائل بدائية تسكن جزر المحيط الهادي، وكان قد نقلها قبطان يدعى جيمس كوك، فقد لاحظ أن سكان هذه الجزر يطلقون على كل محرم وممنوع اسم تسكنها التي الشريرة الارواح من خوفا وقولها فعلها يحرم أو يمنع أشياء الى تشير وهي "Tapu" وتهدد الحياة في حالة إنتهاكها، وبعد إنتقال هذه الكلمة الى إنكلترا أخذت هذا الشيعوع لها في الاستعمال في الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية.

وتسود المجتمعات البدائية، ومن ثم المجتمعات الدينية، مجموعة من المحرمات التي تختلف في موضوعاتها وايديولوجيتها الوجودية بالقدر الذي تختلف فيه المجتمعات الدينية عن البدائية، وتتفق هذه المجتمعات على وجوب، او ضرورة التمسك بها، وهي تدور عموما حول الجنس والطعام والموت، مما يؤثر الطبيعة التلقائية للإنسان للاهتمام بما فوق العابر والزائل للحياة، إذ تشكل هذه المحرمات او التابوات في جوهرها تعلقا خاصا بجوهر الحياة، لذلك يسان الجنس من الحرام، أو من العلاقات الحرام، لان الجنس يشكل مصدرا اساسيا للاستمرار وديمومة الحياة، وكذلك الطعام لأنه عنصر التغذية للجسد الذي تسكنه الروح، وهي طاقة الحياة او جوهر الحياة، وأما الموت فانه العنصر المفارق للحياة الذي تدرك من خلال تضاداته للحياة، تدرك معنى او حقيقة الحياة.

إن الجنس والطعام وسائل مادية للتعالي على الموت او الافلات من الموت، وبحثا ضمنا عن الخلود، لكن فكرة الخلود تقوم أو تتغذى بالمقدس، ويرى جيمس بوبر "ان دور الدين يقوم على التعالي على الموت وهنا يكون المقدس رديف الحياة" ولو عدنا الى المجتمعات الحديثة او حتى الى المجتمعات اللادينية، فان التابو يأخذ صورة أخرى وهو الممنوع الذي يتكفل القانون في تعريفه وتحديده ووضع العقوبات الرادعة عن ممارسته، و"التابو -الممنوع" قانونا يخلو من ذلك الرعب او الخوف الذي يثيره في نفوس المؤمنين "المحرم- التابو الديني"، لكن بنفس الوقت يرافقه نوع آخر من الخوف انه الخوف من عدم امكانية بقاء الحياة في حالة إنتهاك "التابو - الممنوع"، فهو يهدف اذا وايضا الى الدفاع عن الحياة وديمومتها، وتبقى تلك الفكرة مرتبطة وبحدود معينة وبقوة بالمقدس، رغم عزوف القانون في تلك المجتمعات عن المقدس وتسميات المحرم والتابو، لكن القانون وبما يشكل من صيانة للحياة العامة يظل رديف الحياة في إستمراريتها وديمومتها، ولذلك بناء على بوبر يدخل في نطاق المقدس ولو مجازا.

اذا وظيفة المقدس هي تشريع وسائل البقاء وتقنين أساليب الحياة لاسيما اذا أدركنا أن الحياة اسلوب في الجنس، اسلوب في الطعام، اسلوب في الجسد وطريقة في فهم لغز الموت، إن المقدس يسعى الى أكثر من بقاء الحياة، إنه يسعى دائما الى تأييد الحياة أو فكرة الخلود-الدينية.

إن تأييد الحياة هي واحدة من أهم وظائف المقدس في الدين والحياة، و من وجهة نظر أنثروبولوجية "كل ما يقدر هو ما يسهم في وضع أسس الحياة وتأييدها" - جان فرانسوا دورتيه، معجم العلوم الانسانية -لكن تأييد "الحياة- الخلود" يتم وفق بناء أسس حياة تكون برقابة المقدس، أو هي واقعا ترقب المقدس في بنائها من أجل إتاحة الفرصة أمامها في التأبد أو الخلود بعد الموت، وبانتماء هذه الحياة الى المقدس من خلال الدين فإنه "يعتبر ملعونا كل ما يسيء الى استمرار الحياة " في فكرة المقدس وفق جان فرانسوا دورتيه.

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية